

نفحات القرآن

[193] الغطس في عالم الأوهام ! تؤكد الآية الشريفة الأولى من خلال الإشارة إلى عقوبة المشركين على حقيقة أنَّ (الشرك) ليس له أي دليل أو برهان وعليه يكون وليداً للظنون والأوهام فنقول : (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِلَّا نَزَّاهُ لَا يُوَفِّلُجُ الْكَافِرُونَ) . ومن الملاحظ أنَّ عقوبة المشركين هنا غير موضحة بل تقول الآية : (حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ) وهو أكبر تهديد ، لأنَّ العظيم والقاهر هو المحاسب فيكون عقابه شديداً قطعاً وعبرة (لا برهان له) تفيد - في الواقع - هذا الأمر وهو : أنَّ الشرك لا يدلُّ عليه أي دليل سواء كان عقلياً أو نقلياً ولا تنسجم الفطرة معه ولا المنطق ، بل كلَّما أعمدنا النظر في هذه القضية ظهر بطلانها أكثر .

والتعبير بـ (لَا يُوَفِّلُجُ الْكَافِرُونَ) شامل ينفي كلَّ فلاح عن الكافرين في الحياة المادية والمعنوية ، في الدنيا والآخرة ، ويؤيِّد هذه الدعوى مشاهدتنا اليومية للذين لا يؤمنون . * * * أسماء بلا عناوين طرحت الآية الثانية هذا المضمون في إطا جميل آخر وتقول عن لسان يوسف (عليه السلام) وهو يخاطب رفيقه في السجن : (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) والشاهد على ذلك هو أنَّها (مَا أَنْزَلَ إِلَّا بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) ، فلو كانت حقائق لقام عليها الدليل العقلي والنقلي ، فمن المحال أن يفقد الدليل أمرٌ بهذه الدرجة من الأهمية (وهو وجود الشريك □ عز وجل) ، وعدم الدليل هذا دليل على العدم ! من هنا تستنتج الآية في الخاتمة (إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا □) و (أَمَرَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا)